خطبة: فقه الأولويات

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

بعَثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم معاذَ بنَ جبلٍ إلى أهلِ اليمنِ ، قال له (إنك تَقْدُمُ على قومٍ مِن أهلِ الكتابِ ، فلْيَكُنْ أولَ ما تدعوهم إلى أن يُوَحِّدوا اللهَ تعالى ، فإذا عَرَفوا ذلك ، فأَخْبِرْهم أن اللهَ فرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومِهم وليلتِهم ، فإذا صَلَّوْا فأَخْبِرْهم أن اللهَ افتَرَضَ عليهم زكاةً في أموالِهم ، تُؤْخَذُ مِن غِنِيِّهم فتُرَدُّ على فقيرِهم ، فإذا أَقَرُّوا بذلك فخُذْ منهم ، وتَوَقَّ كرائمَ أموالِ الناسِ ) (البخاري)

هكذا وضع صلى الله عليه وسلم قواعد فقهِ الأولويات ومراتب العبادات وأولويات الدعوة الى الله

.. روى البخاري (71) ، ومسلم (1037) عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" كُلُّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَا بُدَّ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ ، فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين ِ، لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

فقه الأولويات -عباد الله- هو من أرفع مراتب الفقه ومقاماته والذي به يستجلبُ العبدُ الخيرَ والتوفيق الربّاني ،

فقه الأولويات هو تقديم الضروريات على الحاجيات ، والحاجيات على الكماليات .. والبدءُ بالأهم قبل المهم ،

فقه الأولويات : هو وَضّعُ كُلُ شيءٍ في مرتبته ، فلا يؤخر ما حقه التقديم ، ولا يقدم ما حقه التأخير ، ولا يُصّّغر الأمر الكبير ، ولا يُكبَّر الأمر الصغير .

قال تعالى في بيان الأولويات ومراتب الأعمال

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة:19].

وإن أولى الأوليات ياعبدالله هي وقايةُ نفسك ومن تعول من النار ، والسعي لنجاتها وفلاحها وتزكيتها .. قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) .

معاشر المؤمنين

ومن فقه الأولويات أن تُقدم الفرائضُ على النوافل لقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه" .

وفي الفرائض كذلك أولويات ينبغي العلم بها والعمل وفقا لها ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل؟! قال (الصلاة على وقتها) قلت : ثمَّ أي؟! قال (برُّ الوالدين) قلت : ثمَّ أي؟! قال (الجهاد في سبيل الله) .

ولنفقه أولويات العلاقات ومراتب الإحسان والفضل لنستمع لهذا الحديث ، سأل رجلٌ النبّيَ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ، قال (أمك) قال : ثم من ؟ قال (أمك) قال : ثم من؟ قال (أمك) قال : ثم من ؟ قال (أبوك ثم أدناك فأدناك) .

وللنفع المتعدي فضل وأولوية على العبادات الفرية ، عباد الله ، واستمعوا لقوله عليه صلى الله عليه وسلم : "

ألا أُخبِرُكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى. قال: صلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالقةُ

(( الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٥٠٩ • صحيح • أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) واللفظ له، وأحمد (٤/ ))

لقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم أجر الإصلاح بين المتخاصمين على نوافل الصيام والصلاة والصدقة .

ولرد المظالم والوفاء بحقوق الآخرين أولوية على غيرها من نوافل العبادات ، بل وعلى أفضل مراتب العمل وهو الشهادة في سبيل الله ، ومن ذلك أن رجلا قال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم، إن قُتلتَ في سبيل الله، وأنت صابر مقبل غير مدبر"،

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف قلت"؟ فأعاد الرجل سؤاله، وأعاد الرسول الكريم جوابه وزاد عليه: "إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك".

وفقنا الله لما يحب ويرضى ، وأعاننا على البرّ والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

من أخذ بفقه الأولويات عبدَ اللهَ على بصيرة ووُفِق لأفضل الأعمال ونال أعلى الدرجات ،

وإنّ مما يجعل المرءَ يحيد عن العمل وفقا لفقه الأولويات : النظرُ الجزئي لأحكام الدين والتعجّل في النظر والحكم عليها ، والأخذُ بظاهرِ النصوص دون الرجوع لأهل العلم لنيل العلم النافع والفقه في الدين كما أرشدنا ربُّنا وقال " فإسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون "

ومن أسبابها غلبةُ العاطفة والتأثرُ بأحاديث فضائل الأعمال دون التفقه في مراتب الأعمال النظر للأهم والأفضل ،

ومنها غلبةُ العادات وتأثيراتُ البيئة والتوارثُ في فهم الدين على غير فقه وعلم ،

ومنها التعصب المذهبي والجمود الفكري اللذان يحجبان المرء عن النظر في أراء العلماء والسعة في التفقه والتعلم .

رزقنا الله وإياكم الفقه في الدين والعلم النافع والعمل الصالح .